# العبّاس في نظر الأئمّة عليهم السّلام

العبّاس في نظر الأئمّة عليهم السّلام

إنّي لا أحسب القارئ في حاجةٍ إلى الإفاضة في هذه الغاية بعد ما أوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السّلام من العلم والتّقى ، والملكات الفاضلة ؛ من إباء وشمم ، وتضحية في سبيل الهدى ، وتهالك في العبادة ؛ فإنّ أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السّلام يُقدّرون لمَن هو دونه في تلكم الأحوال فضله ، فكيف به وهو من لُحمتهم وفرعِ أرومتهم ، وغصن باسق في دوحتهم ؟! وقد أثبت له الإمام السّجاد عليه السّلام منزلة كبرى لم يَنلها غيره من الشّهُداء ، ساوى بها عمّه الطيّار ، فقال عليه السّلام :

رحمَ اللّهُ عمّ ِي العبّاسَ بنَ عليّ ٍ ، فلقد آثرَ وأبلَى ، وفدَى أخاه بنفسِهِ حتّى قُطِعتْ يَداهُ ، فأبدلَهُ اللّهُ عزّ وجل جناحينِ يطيرُ بهمَا مع الملائكةِ في الجنّةِ ، كما جعلَ لجعْفرِ بنِ أبي طالبٍ . إنّ للعبّاسِ عندَ اللّهِ تباركَ وتعالى منزلةً يَغبطُهُ عليها جميعُ الشّ ُهداءِ يومَ القيامةِ.

ولفظ ( الجميع ) يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة ، وقد نفى البُعد عنه العلاّمة المُحقّق المُتبحّر في الكبريت الأحمر ص47 ج3 .

ولعلّ ما جاء في زيارة الشّ ُهداء يشهد له : السّلامُ عليكُمْ أيّ ُها الرّ َبّانيّونَ ، أنتُمْ لنا فرطٌ وسَلفٌ ونحنُ لكُمْ أتباعٌ وأنصارٌ ، أنتُمْ سادةُ الشّ ُهداءِ في الدّ ُنيا والآخرةِ . وكذلك قوله عليه السّلام فيهم : إنّهم لم يسبقهم سابقٌ ، ولا يلحقهم لاحقٌ . فقد أثبت لهم السّيادة على جميع الشّ ُهداء ، أنّهم لم يسبقهم ولا يلحقهم أيّ ُ أحدٍ ، وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل ، وقد انفرد عنهم بما أثبته له الإمام السّجاد عليه السّلام من المنزلة التي لم تكن لأيّ ِ شهيد .

ولهذه الغايات الثمينة والمراتب العُليا ؛ كان أهلُ البيت عليهم السّلام يُدخلونه في أعالي اُمورهم ما لا يتدخّل فيه إنسانٌ عادي ، فمِن ذلك : مُشاطرتُه الحسينَ عليه السّلام في غسل الحسن عليه السّلام .

وأنتَ بعد ما علمت مرتبة الإمامة ، وموقف صاحبها من العظمة ، وأنّه لا يلي أمره إلاّ إمامٌ مثله ، فلا ندحة لك إلاّ الإيمان بأنّ مَن له أيّ تدخل في ذلك ـ بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال ـ [ هو ] أعظم رجلٍ في العالم بعد أئمّة الدّ ِين عليهم السّلام ؛ فإنّ جثمان المعصوم عليه السّلام عند سيره إلى المبدأ الأعلى ـ تقدّست أسماؤه ـ لا يُمكن أنْ يقربَ أو ينظر إليه مَن تقاعس عن تلك

المرتبة ؛ إذ هو مقامُ قابَ قوسين أو أدنى ، ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أنْ يصل إليه حتّى تقهقر ، وغاب النّبيّ ُ الأقدس في سبحات الملكوت والجلال وحدهُ إلى أنْ وقف الموقف الرهيب . وهكذا خلفاء النّبيّ ِ صلّى ا عليه وآله المشاركون له في المآثر كُلّ ِها ما خلا النّبوّ َة والأزواج ، ومنه حال انقطاعهم عن عالَم الوجود بانتهاء أمد الفيض المُقدّس .

وممّا يشهد له أنّ الفضل بن العبّاس بن عبد المُطّلب كان يحمل الماء عند تغسيل النّبيّ ِ صلّى ا عليه وآله ، معاوناً لأمير المؤمنين عليه السّلام على غسله ، ولكنّه عصبَ عينيه ؛ خشية العمَى إنْ وقع نظرُهُ على ذلك الجسد الطّاهر .

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول اللّه صلّى ا عليه وآله ؛ حذراً أنْ يرى النّاظر شيئاً فيعمى ، وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة ، فكان إذا سقط في الضريح شيءٌ أنزلوا صبيّاً وشدّوا عينيه بعصابة فيخرجه .

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر ، وليس لنا إلاّ التسليم على الجملة ، ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرّد بُعدنا عن إدراك مثلها ، خصوصاً بعد استفاضة النّقل في أنّ للنّبيّ ِ صلّى ا عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام بعد وفاتهم أحوالاً غريبةً ليس لسائر الخلق معهم شركة ، كحرمة لحومهم على الأرض ، وصعود أجسادهم إلى السّماء ، ورؤية بعضهم بعضاً ، وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصليّة عند الاقتضاء ؛ إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النّقل الكثير عليه واعتراف الأصحاب به ، فيصار التحصّل : إنّ الحواس الظاهرة العاديّة لا تتحمّل مثل تلك الأمثلة القُدسية ـ وهي في حال صعودها إلى سبحات القُدس ـ إلاّ نفوس المعصومين عليهم السّلام بعضها مع بعض دون غيرهم ، مهما بلغ من الخشوع والطاعة .

لكنّ ( عباس المعرفة ) الذي منحه الإمام عليه السّلام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقرّبون عليهم السّلام ، وهي : ( العبد الصالح ) تسنّى له التوصّل إلى ذلك المحل الأقدس من دون

أنْ يُذكر له تعصيبُ عينٍ أو إغضاءُ طرفٍ ، فشارك السّبط الشهيد عليه السّلام ، والرسول الأعظم صلّى ا عليه وآله ، ووصيه المُقدّم مع الروح الأمين عليه السّلام ، وجملةَ الملائكة في غسل الإمام المجتبى الحسن السّبط صلوات اللّه عليهم أجمعين . وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلاّ ذَوو النّفوس القُدسيّة من الحُجج المعصومين عليهم السّلام ، ولا غرو إنْ غبط أبا الفضل الصّدّيقون والشّهُداء الصالحون .

وإذا قرأنا قول الحسين للعبّاس عليهما الس

ّلام ، لمّا زحف القوم على مخيّمه عشيّة التاسع من المُحرّم : اركَبْ بنفسِي أنتَ يا أخي حتّى تَلقاهُمْ . . . وتسألَهُمْ عمّا جاءَ بِهم . فاستقبلهم العبّاس في عشرين فارساً ، فيهم حبيب وزهير ، وسألهم عن ذلك ، فقالوا : إنّ الأمير يأمر إمّا النّزول على حكمه أو المُنازلة .

فأخبر الحسينَ عليه السّلام ، فأرجعه ليُرجئهم إلى غد.1

1-الخصائص العبّاسيّة / محمّد إبراهيم الكلباسي النجفي ص115